الخطاب الحجاجيّ وصلاته الاجتماعيّة
(مقاربة سوسيولسانية)

أ.م.د. نعمة دهش فرحان الطائيّ
جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

الملخص:

إنّ تشكيل الأفكار ليست عملية مستقلة، بل جزءٌ من القواعد الخاصة باللغة المعينة، التي تختلف بها قليلًا أو كثيرًا عن قواعد لغة أخرى، فنحن ننظر إلى العالم ونراقبه، لنشكل انطباعاتٍ، تترتب في أذهاننا؛ وهذا يعني أنَّ الدور الأساسيّ في ترتيب هذه الانطباعات يكون للأنظمة اللغوية المستقرة في أذهاننا، ومن ثمَّ تتنوع وتتعدد أنماط الخطاب تبعًا لتلك الانطباعات، ولوظيفة الاقتران؛ إذ يقترن لفظ الخطاب في الغالب بلفظٍ آخر، مثل: الخطاب الثقافيّ، والخطاب الأخلاقيّ، والخطاب الحجاجيّ، وهلم جرًا؛ لذلك تعددت تعريفات الخطاب، بوصفه فعلًا تواصليًا اجتماعيًا، يجمع بين القول والانجاز، حتى غدت التواصلية فيه سمةً مهمةً من سماته الاجتماعية، ليس فيه شيءٌ من التشتت، بقدر ما فيه من غنىً وسعةٍ في التصنيف والدلالة.

ومن هنا ركزنا حديثنا في (الخطاب الحجاجيّ) بوصفه خطابًا ذا طابع اجتماعيّ تأثيريّ، تتنازعه الأفعال الاجتماعية واللسانية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيًّا واجتماعيًا، فهو بحق أسس مجالًا تداوليًّا رحبًا، أعطى شحنة قوية للدراسات السوسيولسانية، نتج عنها التدقيق والتمحيص في مفهوماته الفرعية، ومصطلحاتها العلمية؛ لذا اقتضت الضرورة دراسة (**الخطاب الحجاجيّ وصلاته الاجتماعية ... مقاربة سوسيولسانية**) في مبحثين، هما:

المبحث الأول/ الحجاجُ منهجُ تحليلٍ للخطابِ السوسيولسانيِّ (مقاربة في الاثبات والدلائل):

وفيه محوران:

المحور الأول/ حركية الحجاج من الذاتية إلى الاجتماعية.

المحور الثاني/ التنوع الحجاجيُّ وآلياتُه الخطابية.

المبحث الثاني/ خصائص الخطاب الحجاجيّ وتقنياته التواصلية:

وفيه محوران:

المحور الأول/ خصائص الخطاب الحجاجيّ.

المحور الثاني/ الخطاب الحجاجيّ وتقنياته... (تمثلات قرآنية):

The Speech Al-Hajaji And His Social Links: A Sociolinguistic Approach

Asst. Prof. Nima Dahash Farhan Al-Taie (Ph.D)
Baghdad University / College Of Education, Ibn Rushd For Human Sciences
Department of Arabic Language

Abstract:

The formation of ideas is not an independent process, but a part of the rules in particular, which differ by a little or a lot about another language rules, we look at the world and we are watching, to shape perceptions, ensue in our minds; and this means that the primary role in arranging these impressions have stable linguistic systems in our minds, and then varied and became multiple. Speech patterns depend on those impressions, and the function of the association. It is combined with the utter speech mostly, such as: the cultural and moral discourse, and speech - orbital, and so on; so colorful speech definitions are indeed communicative socially, combines say not accomplish, so it has become communicative. An important social feature is nothing of the dispersion, regarding its richness and breadth of the classification and significance.

Hence, we focused our conversation as a speech character of social norms, carved up social and linguistic acts, and dominate the kinetic activity mentally and socially. It is truly that he established rich discourse and scientific domains. Accordingly the study is worth studying and investigating.

The first part deals with the sociolinguistic approach of the Al-Hajaj with tangible evidence. It is of twofold:

:

The first section is /The movement of Al Hajaj from the self to the social.

The second section / Al- Hajaj diversity and his speech mechanisms. .

The second part: / properties Hajaji discourse and communicative techniques; it is also divided into two sections:

The first section / characteristics of Al-Hajaji speech.

The second section /Al-Hajaji speech and techniques

التمهيد/ الحجاج مفهومًا:

الحجاج لغةً: هو مصدر لفعل (حاجج)، والحج: القصد. وحجّه يحجه حجا: قصده. والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم([١]). ويقال: حاجه محاجةً وحجاجًا، أي: نازعته. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته([٢]) والملاحظ من هذه التعريفات أنَّ الحجاج يختصُّ بالدلالة أساسًا على معنيين، هما: القصد والإقناع. ويقابل هذه اللفظة في الفرنسية، لفظة "Argumentation" التي تدل على معاني متقاربة، أبرزها حسب قاموس (روبير – Petit Robert): القيام باستعمال مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة([٣]). ويشير في الإنجليزية لفظ (Argue) إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كلٍّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب أو (العلل – Reasons) التي تكوّن (الحجة – Argument) مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما([٤]).

أما الحجاج في الاصطلاح؛ فله عدة تعريفات، أبرزها تعريفان:

١- تعرَّف (كريستيان بلانتان – Cristianne Plantene): بأنَّه ممارسة الفكر مع الآخر، باستعمال تقنيات قادرة على نقل ذاك الفكر في صيغته المقصودة، إذ يقال: إنَّ للمحاججة وجهًا معرفيًّا، ذلك بأنْ تحاجج، أي: أن تمارس فكرًا صائبًا، بوساطة بناء المادة، ثم طرحها قضيةً للنقد، إذ إنَّنا في ضوء ذلك نفكر، ونفسر، ونبرهن بوساطة الحجج والعلل والدلائل، ونقدم الدوافع، وبهذا تكون خلاصة المحاججة اكتشافًا، حيث تنتج إبداعًا ومعرفةً([٥]).

٢- تعريف (بيرلمان – Perleman): بأنَّه دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم، وربما كانت وظيفته؛ محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فيبعث على العمل المطلوب، أو هو مجموعة من التقنيات الخطابية الموجهة إلى إقناع المتلقي، سواء كان المتلقي فردًا أم جماعة([٦]).

وتظهر طبيعة الحجاج وسماته السوسيولسانية في المقولات الآتية([٧]):

١- الحجاج ظاهرةٌ اجتماعيّةٌ: فهو يضمّ عدّة أشخاص منتجين له أوّلًا، ومتقبلين له ثانيًا.

٢- الحجاج خطابٌ فكريٌّ فعليٌّ: يتجه نحو الممارسة الآلية، وتتحكم فيه معطيات المواجهة والمدافعة قدر الإمكان؛ لأنّه عملية تسعى إلى خلق التأثير في الآخرين.

٣- الحجاج نشاطٌ لسانيٌّ: لا يتمّ إلاّ داخل اللغة وداخلها، سواء عُدَّتْ اللغة وسيلةً أو هدفًا، وسواء كانت لغة ثابتة(جملًا ونصوصًا) أو متغيّرةً (أقوالًا وتعبيرات).

ومن هنا ركزنا حديثنا في (الخطاب الحجاجيّ) بوصفه خطابًا ذا طابع اجتماعيّ تأثيريّ، تتنازعه الأفعال العقلية واللسانية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيًّا وبيولوجيًّا، فهو بحق أسس مجالًا تداوليًّا رحبًا، أعطى شحنة قوية للدراسات السوسيولسانية، نتج عنها التدقيق والتمحيص في

مفهوماته الفرعية، ومصطلحاتها العلمية؛ لذا اقتضت الضرورة دراسة الحجاج بوصفه منهجًا نقديًا سوسيولسانيًا لتحليل الخطاب الاجتماعيّ، فجاء البحث في مبحثين، هما:

المبحث الأول/ الحجاجُ منهجُ تحليلٍ للخطابِ السوسيولسانيٌّ (مقاربة في الاثبات والدلائل):

إنَّ لكلِّ مجتمعٍ تقاليده الاجتماعية ومعتقداته، التي يمارسها أفراده في كثيرٍ من الأحيان عبر اللغة، فالقوانين الاجتماعية التي تمارس سطوتها على أعضاء الجماعة، تلقي بظلالها على السلوك اللغويّ للجماعة، وهذا يعني أنَّ اللغة ترتبط بوجود المجتمع وانتماء أفراده إليها، فوجودها وجودٌ لحياتهم، وانعدامها انعدام لانتمائهم([٨])؛ لأنّ تشكيل الأفكار ليست عملية مستقلة، بل جزءٌ من القواعد الخاصة باللغة المعينة، التي تختلف بها قليلًا أو كثيرًا عن قواعد لغة أخرى، فنحن ننظر إلى العالم ونراقبه، لنشكل انطباعاتٍ، تترتب في أذهاننا؛ وهذا يعني أنَّ الدور الأساسيّ في ترتيب هذه الانطباعات يكون للأنظمة اللغوية المستقرة في أذهاننا، ومن ثمَّ تتنوع وتتعدد أنماط الخطاب تبعًا لتلك الانطباعات([٩])

للحجاج عدة سمات تواصلية، تتشكل فيه، بوصفه منهجًا نقديًا اجتماعيًا لتحليل الخطاب، وتتمثل في المحورين الآتية:

المحور الأول/ حركية الحجاج من الذاتية إلى الاجتماعية:

يُعدُّ اللسانييّ الفرنسيّ (أوزفالد ديكرو) أوّل من أسس لمنهج الذاتية في الحجاج سنة ١٩٧٣م، فقد اعتنى بوضع نظرية لسانية عبر الوسائل اللغوية، وإمكانات اللغات الطبيعيّة التي يتوافر عليها المتكلّم؛ وذلك قصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجيّة، حيث أراد تبيان حقيقة أنّ اللغة تحمل بصفة ذاتية أو جوهريّة وظيفة حجاجية، مرتكزًا في هذا الأساس على تلك الفكرة السائدة التي مفاده: أنّنا نتكلّم بعامّة قصد التأثير([١٠])؛ لأنَّ الحجاج كفعلٍ قوليّ، يفرض على المخاطب نمطًا معيّنًا من النتائج، بوصفه الاتجاه الوحيد الذي يمكن أن يسير فيه الحوار، والقيمة الحجاجيّة لقول ما هي نوع من الإلزام يتعلّق بالطريقة التي ينبغي أن يسلكها الخطاب الحجاجيّ بخصوص تناميه واستمراره([١١])؛ ذلك أنَّ الحجاج – من وجهة نظر ديكرو – مؤسَّس على بنية الأقوال اللغويّة، وعلى تسلسلها، واشتغالها داخل الخطاب، من دون النظر في المعطيات الاجتماعية وظروف القول الخارجية.

ومن هنا برز مصطلح: (الخطاب الحجاجيّ): وهو الذي تبرَّزُ فيه العناصر الحجاجية، وتعضده وسائل الإقناع التي تقوي رأي المحاج، وتسهم في إقناع المتلقي بالآراء والأفكار التي تتضمنها العملية التواصلية، أو تدافع عنها، أو تعارضها. وغالبًا ما نجد الحجاج بكلِّ تنوعاته في

النصوص ذات الطابع الاجتماعيّ، كالخطابة والمناظرة والمقالة، كما يلامس عددًا من النصوص الإبداعية، كالشعر والرواية والسيرة والمقامة ... وغيرها من الألوان الأدبية ذات الطابع الاجتماعيّ.

ولا غرو أنَّ (نظرية الحجاج) في اللغة نظرية تداولية تواصلية، ذات بُعدٍ اجتماعيٍّ، لم تنشأ من العدم؛ بل انبثقت من داخل نظرية تداوليّة أخرى، لا تقلّ شأنًا عنها، هي:(نظرية أفعال الكلام) وهذا الاتجاه التداوليّ كان يتزعمه اللسانيّ (أوستين) وتلميذه (سيرل)، وقد اقتفى الفيلسوف (ديكرو) أثرهما في الدرس اللسانيّ الحديث؛ حينما طوَّر آراء أوستين وأفكاره على نحو الخصوص، وهو يقعّد لمنهج تداوليّ حجاجيّ، اطلق عليه تسمية (التداولية المدمجة).

أما (بيرلمان – Perleman)؛ فقد جاء بما يسمى: (مدرسة البلاغة البرهانية) التي شكَّلت المرحلة الأخيرة، أو المنظور البلاغيّ المستحدث لتطور البحوث البلاغية في كلِّ النهضة اللسانية الحديثة، وكان غاية ما يرمي إليه هو إخراج الحجاج من تهمة المغالطة، والمناورة، والتلاعب بعواطف الجمهور وعقولهم، كما عمد إلى تخليصه من صرامة الاستدلال، الذي يجعل المتلقي في وضع خضوع واستلاب، إذ إنَّ الحجاج عنده معقوليّة وحريّة، وحوار هدفه الحصول على الوفاق بين الأطراف المتحاورة. ويرى أنَّ نظرية: (البرهان – Argumentation) لا يمكن أن تنمو إذا تصورنا أنَّ الدليل البرهانيّ هو مجرد صيغة مبسطة بديهية، لذا هدف هذه نظرية هو دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته(١٢)؛ لذلك أضحى الحِجاج في رحاب هذا التحوّل المفهوميّ والتوسع في الرؤى مطلبًا أساسيًا في كلِّ عمليّة تواصلية، تستدعي الإفهام والإقناع. حيث أكد (بيرلمان) العلاقة بين شكل القول ومضمونه، أي إنَّه ربط مظهر القول بمادته، وعدم الفصل بينهما؛ إذ إنَّ هناك أشكالًا للقول؛ لها تأثير جماليّ، مثل: (الاتساق أو الانسجام) و(الإيقاع أو الجرس)... وغير ذلك من الخواص الشكلية، التي تمارس تأثيرًا في (الجمهور). فزعم (بيرلمان) أنَّ هذه الآليات ينبغي اقصاؤها عن بحث الدلائل في البلاغة الجديدة؛ لأنَّ طرائق الأداء، والحركة، والإشارة أقرب إلى المشكلات التي تدرسها معاهد الفنون الدرامية، ومدارس الإلقاء والتمثيل منها إلى التحليل البلاغيّ أو الأدبيّ(١٣).

ونحن هنا لا نرى لـ(بيرلمان) الحق في هذا الرأي؛ لأنَّ النصَّ المسبوك سبكًا محكمًا، لا يبعد أن يعزز التأثير الإبلاغيّ الحجاجيّ في نفسية المتلقي، على الرغم من وصفها غايات جمالية إمتاعية، فهي بمنزلة الدليل المعزز للبرهان، كأسباب نزول النصِّ القرآنيّ التي لا تُعدُّ حجةً، لكنها تُعُّد دليلًا على تعزيز الحجة عند الفقهاء والأصوليين، من باب الاستئناس بالأدلة الساندة، وإلى ذلك ذهب بعض الباحثين إلى ضرورة الإبقاء على هذه الآليات في إطارها البلاغيّ؛ لأنَّها مصاحبات للقول، مساندات للحجة، متضامنات مع اللفظ والمعنى معًا، وإقصاؤها جملةً وتفصيلًا ينتج عنه في كثيرٍ من الأحايين عجز الخطاب عن بلوغ المرام، وتحقيق المقصدية(١٤).

ومن هنا؛ تُعدُّ البرهنة منطلقًا استراتيجيًا في بناء النصِّ الحجاجيّ؛ لأنَّها توظِّف عمليات عقلية، ينتقل بها الفكر من قضية إلى أخرى، تتجلى في:

١- الاستقراء، بوصفه عملية عقلية، ينتقل فيها الفكر من التخصيص إلى التعميم وإلى استنباط ما هو كليّ.

٢- القياس، بوصفه عملية، ينتقل بها الفكر من التعميم إلى التخصيص، أي: إخراج الجزئيّ ممّا هو كليّ.

٣- الاستدلال الجدليّ، بوصفه حركة فكرية، تنتقل من الأطروحة إلى نقيضها، ثم إلى نقيض النقيض.

٤- الاستدلال السببيّ، بوصفه حركة فكرية تقوم على ربط الأسباب بالمسببات([١٥]).

وبالنظر في الإشارات الدلالية الداعية إلى دراسة الخطاب على وفق سياق متعدد الأبعاد؛ يتأكد لنا أنَّ الخطاب الحجاجيّ لا يمكن فصله عن سياقه الاجتماعيّ، حيث كانت للعالم اللسانيّ الانكليزيّ (جي. آر. فيرث ت١٩٦٠م)، مقولات مهمة في النظر إلى عمليّة الكلام في سياقه الفعليّ؛ إذ إنَّ معنى الكلام -كما يرى فيرث- هو مجموعة مركبة من العلاقات السياقيّة، وعلى الدراسة اللسانيّة بكلِّ جوانبها ومستوياتها أَنْ تقارب بين مكوناتها هذه في إطار سياقها المناسب. فالدراسة اللسانيّة يجب أَنْ تربط الكلمات بسياق الموقف الذي ترد فيه، لذا إنَّ عمليّة التحليل الدلاليّ تتمّ على وفق سياق منسّق من الأحداث، يتداخل مع سياقات مختلفة تنتمي في مجموعها إلى سياق عامّ، يوصف بـ(السياق الثقافيّ)، وهو الإطار العامّ الذي بداخله يتمّ إحداث المواقف اللغويّة([١٦]).

ويرى فيرث أَنَّ الاستعمال اللغويّ ما هو إلاّ شكل من أشكال الحياة الإنسانيّة؛ لذا منهج دراسة الخطاب عنده يقوم على أساس تحديد عناصر النشاط اللغويّ، وبيان علاقاته في سلسلة من المستويات المتكاملة، تكشف عن العلاقات المتبادلة فيما بينها، وقد قسّم فيرث هذه العلاقات على نوعين:

الأوّل: علاقات داخليّة بين عناصر الحدث اللغويّ ذاته؛ وهي على نوعين:

١. علاقات أفقيّة بين عناصر أو وحدات التركيب، ومدروسة على وفق مستويات تحليليّة متعدّدة.

٢. علاقات رأسيّة للمفردات أو الوحدات اللغويّة التي يحلّ كلّ عنصر منها محلّ الآخر في إطار نظام محدّد لتعطي قيما محدّدة لعناصر التركيب.

والآخر: علاقات خارجيّة في إطار السياق الذي يتمّ فيه الحدث اللغويّ؛ وهي على نوعين:

١. النصّ في اتصاله بالمكونات غير اللفظيّة مع تأثيره الكلّيّ أو ثمرته المحدّدة.

٢. علاقات تحليليّة بين أجزاء النصّ (الكلمات، أو العبارات، أو أجزاء الكلمات). ومكونات خاصّة في سياق الموقف نفسه (أشياء، أو أشخاص، أو أحداث)[١٧].

تبدو آراء فيرث هذه أقرب إلى ما قدّمته الدراسات اللغويّة في تحليل الخطاب، وممّا لاشك فيه، أنَّ هذه الدراسات أفادت من آراء فيرث، إلاّ أَنَّ فيرث نفسه لم يقم بدراسة مجمل العمليّات اللفظيّة في سياق موقفها، على الرغم من حثّه علماء اللغة على القيام بمثل هذه الدراسات، وفضّل التركيز في النظام الصوتيّ للّغة[١٨].

فعلى الرغم من أنَّ اللسانيّ الأميركيّ (زيليغ سابيتي هاريس) هو أول طرح مصطلح: (تحليل الخطاب) في كتابه: (تحليل الخطاب) حين حلّل البنى اللغويّة الأكبر من الجملة، معتمدًا في ذلك على مبدأ التوزيعيّة الذي قدّمه في دراسته للّغة[١٩]، فعلى الرغم من ذلك؛ يبقى فيرث المؤسس الحقيقيّ لنظرية تحليل الخطاب؛ بوصف آراءه ومقولاته هي الأشمل والأكثر تفصيلًا في النظر إلى عناصر السياق المتعلقة بالخطاب والمشاركين فيه.

وهذا يعني أنَّ الخطاب هو مادة الكلام التواصليّ، وأنَّ الحجاج يقع في بؤرة الخطاب، ولا محيص للباحث اللسانيّ في الخطاب الحجاجيّ من النظر في معطيات القول الخارجية وظروفه الاجتماعية، ضمن المسرح الفعليّ للتخاطب.

وقد استند (ميتشيل) في مقالته (البيع والشراء في سيرنايكا) إلى التحليل الدلاليّ للخطاب عند فيرث، معتمدا في ذلك على آراء (فيرث) الخاصّة بالسياق، فقسّم عمليّة البيع والشراء على مراحل، وعلى وفق معايير دلاليّة خالصة. كما عدّ المرحلة فئة تجريديّة لا يتضمّن ترقيمها تسلسلًا زمنيًّا، ووصف ثلاث فئات رئيسة للتعامل التجاريّ، وهي؛ مزادات السوق، ومعاملات السوق التجاريّة الأخرى ومعاملات البيع في الدكاكين. وعلى الرغم من أَنَّ الفئتين الثانية والثالثة صُنفتا اعتمادا على اشتراكهما في المراحل الخمس الآتية:

١. التحيّة.

٢. الاستعلام عن الشيء المعروض للبيع.

٣. فحص الشيء المعروض للبيع.

٤. المساومة.

٥. القرار النهائيّ.

ويرى (كولتهارد) أَنَّ هذا البناء الفيرثيّ للخطاب يُعدُّ مثاليًّا، إذ قد لا تظهر المرحلتان الأولى والثانية، وقد تفهم المرحلتان الثالثة والخامسة من دون كلام. لذا قد عُرّفت المراحل جميعها، وميّزت بالفاعليّة التي ترد ضمنها، لا بمعالم لغويّة ذاتية مميزة، باستثناء المرحلة الرابعة التي يبتدئها المشتري بالعبارة (كم السعر؟).[٢٠].

المحور الثاني/ التنوع الحجاجيُّ وآلياتُه الخطابية:

علمنا أنَّ اللُّغة والكلام هما مكوِّنا اللِّسان، فاللِّسان العربيُّ؛ مثلاً: يعني فعل الإنسان العربيِّ وقدرته عبر تاريخه الطَّويل على التَّواصل؛ إذ تتمثَّل تلك القدرة في مجموعة المبادئ والقواعد والقوانين والعلاقات الَّتي تكمن في أذهان النَّاطقين بذاك اللِّسان، والَّتي لا تتحوَّل إلى وسيلة للتَّواصل إلاَّ عندما يجسِّدها الكلام في خطاب – شفويّاً كان أم كتابيَّاً – ومن هنا تبرز مكانة الخطاب؛ لأنَّه " أداة ذات أهمِّيَّة في تكوين أفعال الجماعة وصناعة سلوكات في ممارساتهم الاجتماعيَّة، لكنَّها تظلُّ في الوقت نفسه عبارة عن مجرَّات متعدِّدة لاستعمالات متفرِّقة "([٢١])؛ إذ يحدَّدُ الجنس الخطابيّ بالمقامات اللّغويّة ولاسيما بهويّتي المخاطب والمتلقي، ودرجة كلٍّ منهما في المجتمع وعلاقاتهما في السلّم الاجتماعي.

وهكذا؛ فإنَّ الخطابَ كلامٌ جسِّدَ لغةً في علاقاتها، وعليه؛ فغياب التَّواصل سيؤدِّي إلى انعدام السِّلوك الإنسانيّ، ولكن ينبغي للُّغة المستعملة أن تكون أداة تواصل، تكشف الأفكار، وتنقل المعارف بنحوٍ واضح، وقابل للإدراك والوعي، حيث أثبتت التَّجربة أنَّ اللُّغة ليست دائمًا شفّافة وواضحة، إنَّما قد تستخدم أداةَ إخفاءٍ وتضمينٍ، ولاسيما بما يمكن أن يحاسب عليه الإنسانُ في المواضع الحسَّاسة الَّتي لا يجوز أن يتعامل معها بوضوح وشفافيَّة، مثل: الأوهام المزيَّفة الَّتي تعبِّر عن أصناف الخداع المستشري في الإعلان السِّياسيّ والاقتصاديّ والتِّقنيّ؛ أي: إنَّ اللُّغة يمكن أن تكون أداة تصريحٍ، أو أداة إخفاءٍ، في إطار وجود مجموعة من المحرَّمات المحيطة بالإنسان، وهي بنحوٍ دائمٍ تفرض نفسها على متحدِّثها؛ إذ تمتلك مجموعة من القواعد النَّحويَّة والصَّرفيَّة والبلاغيَّة من منظومتها الاجتماعيَّة الَّتي تنتمي إليها؛ لأنَّ العلاقة " بين الجماعة واللُّغة علاقة ثنائيَّة الاتِّجاه..، فلغةُ الجماعةِ تفرضُ نفسها عليها، مهما ضعفت صلتها بتلك اللُّغة "([٢٢]).

يمكن حصر الخطاب الحجاجيّ في ثلاثة أنواع، تختلف هذه الخطابات باختلاف أصولها، وامتداداتها المعرفية والمنهجيَّة، لكن ذلك لا يمنع من تداخلها، وهي:

١ – الحجاج البلاغيّ:

تُعدُّ البلاغة آلية من آليات الحجاج، ذلك لاعتمادها على الاستمالة والتأثير عن طريق الحجاج بالصورة البيانية والأساليب الجمالية؛ أي: إقناع المتلقي عن طريق إشباع فكره ومشاعره معًا، حتَّى يتقبلّ القضيّة أو الفعل موضوع الخطاب، ويصف أرسطو البلاغة القديمة بأنَّها فنُّ الإقناعِ، متخذًا من تحليل الأقوال الخطابية الذي يقوم على المحاجة سبيلًا لها، فهي موجهة إلى الجمهور، وتستهدف الحصول على تأييده لأطروحاتها([٢٣]). ويتميز هذا اللون من الحجاج عند بيرلمان (Perleman) بخمسة خصائص رئيسة، هي:

١– أن يتوجه إلى مستمع.

٢- أن يعبّر عنه بلغة طبيعيَّة.

٣- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

٤- لا يفتقر تقدمه إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.

٥- ليست نتائجه ملزمة([٢٤]).

تمثل هذه الخصائص الصُّور البلاغية المحورية التي تبنَّاها الخطاب الحجاجيّ؛ لأنَّها تنشط الخطاب، بهدف تحقيق وظيفة إقناعية، بوصفه تصورًا معيَّنًا لقراءة الواقع الاجتماعيّ، اعتمادًا على بعض المعطيات الخاصَّة بكلٍّ من المحاجج والمقام الذي يتولد فيه هذا الخطاب.

ومن هنا؛ أصبحت نظريّة الحِجاج ذات أثرٍ بالغ عند (بيرلمان)، ممّا جعله يطابق بين البلاغة ونظريّة الحِجاج؛ فقد حصر الأولى في الأخيرة، وأنَّ هذه الأخيرة (نظريّة الحِجاج) ترمي إلى دراسة تقنيات الخطاب، التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفروض المقدمة لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته([٢٥])، وهذا يعني أنَّ أهداف البلاغة تتركز في مجملها في الوصول إلى القواعد والنماذج التي يستطيع بها المتكلم أو الخطيب أن يؤثر في جمهوره، ويحركه بحججه المقنعة.

٢-الحجاج المنطقيّ:

وهذا اللون من الحجاج ذو بُعدٍ فلسفيّ، يوصف بأنَّه آلية إجرائية تقاس بها صلاحية الخطاب الفلسفيّ على وفق معايير داخلية وخارجية، منها: القوة والضعف، الكفاية وعدمها، النجاح والفشل في الإقناع.

٣- الحجاج التداولي:

ويعنى هذا اللون بدراسة منزلة الحجاج في المجال التداوليّ، بوصف الحجاج أبرز أركانه،، وقد عبر عن مصطلح الحجاج التداوليّ أحد الباحثين بالقول:" ويوجد تيارٌ ناتجٌ عن التقاء تيارين نابعين من أصليين مختلفين، ومتداخلين في الآن نفسه: تيارٌ ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت عنوان: (الفلسفة اللغوية) ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة، كالفلسفة التحليلية، والنماذج المنطقية المختلفة، وتيارٌ ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب. ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس، نضعه تحت عنوان عام جدًا هو: (الأطروحات البراغماتية)"([٢٦]).

ويبعث لفظ التداولية على استحضار (نظرية أفعال الكلام) بوصف الأفعال الكلامية غرضًا رئيسًا للتداولية([٢٧])، تهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعيّ لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية، بغية الكشف عن المقاصد والاستعمالات ومن ثمَّ الكشف عن قوة الإنجاز في المتلقي.

ورصد هذا اللون من الحجاج يتيح لنا معرفة توجّه الخطاب التّداوليّ، والإجابة عن الإشكاليات الجوهرية والأسئلة المهمَّة التي تحيط بعمليتي التَّخاطب: (الشفهيّ أو الكتابيّ).

يتجلَّى البُعد التداوليّ للخطاب الحجاجيّ في الحوار، حيث حدد (سْكوت جاكوبس – Scott Jakobs) الحجاج بأنَّهُ:" عملية تكييف للمبادئ الحوارية العامة، مع متطلبات وظيفة خاصة، وهي وظيفة إدارة الخلاف، ذلك أن الحوار –كأي نسق– يتطلب آليات تنظيمية، تواجه القضايا الخلافية، بوضع الحجة في محيط الخلاف المفتوح أو المتضمن أو المسقط، وإعطائها وظيفة تداولية، ما دام الخلاف له علاقة بين الأفعال اللغوية الحوارية، أيًّا كانت القضايا المرتبطة بهذه الأفعال "([٢٨]). وتُعدُّ الحوارية من ابرز مستويات تجليّ البُعد التداوليّ للخطاب الحجاجيّ، وهي العلاقة التخاطبيَّة بين المُخَاطِب والمُخاطَب، التي تتغيّر وتتنوَّع فيها الأداءات في ظاهرتي:

أ– التشخيص: ويتجسد في خاصّية تلفظية، تتميّز بحدَّة العلاقة الخطابية مع الشريك.

ب– المقام: هو مفهومٌ تجريديٌّ يدلُّ على الموقف التواصليِّ، وتلتقي فيه جميع العناصر الحجاجيّة من قدرات برهانية، وحقائق فعلية، وقرائن بلاغية. والمقام شرط تداوليّ بلاغيّ مؤثر في الأداءات؛ لأنَّه يُعنى بضرورة موافقة أفعال القول لمقتضى الحال، والموقف الخاص به، وهذا ما ذهب إليه الجاحظ من قبلُ حينما قال:" مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيِّ شيءٍ بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"([٢٩])، فالأمر يتعلق أساسًا بإيضاح المعنى القائم في النّفس حتّى يدركه الآخر، انطلاقًا من الوظيفة الرئيسة للغة، وهي التواصل.

وعرف (ميشال ماير– Meyer) في نظريته الجديدة (نظرية المساءلة والبلاغة) الحِجَاجَ بأنَّه:" دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام ومضمونه "([٣٠]). ومعنى هذا أن الحجاج لا يقتصر على ظاهر النص وحده أو المضمون وحده، بل يتعداه إلى دراسة تلك العلاقة التي جمعت بينهما في سياق معين، لذلك يستوجب الوقوف عليه والبحث عن دلالة الاقتضاء للملفوظات التي ترمي إلى الإقناع أو التفنيد. ورأى أنَّ مفهوم الحِجَاج متصلٌ " بتحديد طبيعة الكلام في وظيفته التساؤلية، ذلك أنَّ المساءلة من حيث هي عملية فكرية مؤسسة على سؤال وجواب تستدعي نقاشًا، يولد حجاجًا، ويبدو أنَّ المحاججة موجودة بقوة في التداول اللغويّ، إذ لا يخلو خطاب منها سواء كان شفويًا أم كتابيًا، وربما قدم الحِجَاج على مظهرين لغويين، أحدهما: مصرحٌ به، وهو السؤال، وثانيهما: ضمنيٌّ تعبر عنه الإمكانات المقترحة، كإجابات قابلة للاستبدال فيما بينها، وتأخذ هذه الإجابات شكلًا تعبيريًا مميزًا، له وقعه وأثره البلاغيّ على السامع، فقد ترد الإجابة في شكل صورة مجازية لها وقعها على المتلقي "([٣١]).

وهذا يعني أنَّ للخطاب الحِجَاجيّ تنوّعًا أخر، يتمثل بضربين: صريحٌ وضمنيٌّ، ذلك أنَّ طبيعته الحوارية تجعل نصفه للمتكلم، وهو النصف المصرح به، ونصفه للسامع، وهو النصف الضمنيّ، فتكون علاقة الضمنيّ بالصريح مندرجة في إطار (تداولية مندمجة – Pragmatiqueintégrée) تجمع بين لسانيات الكلام على نحو ما هو عند سوسير من ناحية، وعناصر المقام (السياق) ومعطياته من ناحية أخرى([٣٢]).

وقد حدد (فان إيمرين – Frans Van Eemren) موقع الحجاج داخل التداوليات المعيارية، حين دمج نظرية الحجاج مع نظرية الأفعال الكلامية وتحليل المحادثة والخطاب، وأطلق على الجدل الصوريّ داخل هذا النموذج النظريّ اسم (نظرية الحجاج الجدليّ)، فهو يتصوَّر أنَّ الحجاج من الناحية الجدلية فعلًا لغويًّا مركبًا، يتكوّن من مجموعة من الإثباتات الموجَّهة؛ لتسويغ أمرٍ، أو لدحضِ رأي، أو لإقناع حكمٍ عقلانيٍّ، يتفاعل بكيفية معقولة مع وجهة النظر المطروحة([٣٣]). والحجاج الجدليّ خلافًا للحجاج الخطبيّ،" يقوم على معرفة انطولوجية منطقية بالأساس، ولا استغلال فيه لمعطيات اجتماعية، أو معطيات نفسية اجتماعية إلّا في النادر، ولكنه يعتمد الحيلة ومدار الحيلة فيه إستراتيجية المساءلة."([٣٤]). أما الحجاج الخطبيّ؛ فهو حجاج موجه إلى أنماط السامعين، وهو حجاج موضوع على مقاس نمطٍ، ولا يصلح لغيره من الأنماط بالضرورة([٣٥]).

أنواع الحجج:

لا شيء أسرع من حركية الدليل في تبيان مبدأ القصود؛ ليرتقي ذلك الدليل إلى مستوى الحجة؛ لأنَّهُ واقعٌ نصيٌّ حاملٌ لتلكم الحقائق المطلقة، التي تجعل من الدليل يسبح فيها سبحًا غير مبرح، تأكيدًا لوجود علاقة معرفية تربطه بواقع النصِّ، على اختلاف مستوياته الداخلية والخارجية؛ الأمر الذي يؤهل من الذات المتلقية أن تتحلى بلغة شاملة؛ لكي تدرك تلكم الأبعاد التي يحويها الدليل، وعلى مختلف مواقعه السياقية، في الوقت الذي نؤمن فيه إيمانًا جازمًا بأنَّ مستويات الفهم والإدراك لا تسير على وتيرة واحدة، وإنَّما هي أبعاد يتلقاها المتلقون، حسب طبيعة الدلائل التي ترتسم على واقع الأذهان.

وتتنوع الحجج داخل الخطاب بين ما هو موضوعيّ وما هو ذاتيّ وما هو مقاميّ، وبين ما هو صحيح وما هو مخطوء، وبين ما هو مقنع وما هو غير مقنع... وغير ذلك. وتختلف هذه الحجج باختلاف منطلقاتها وأهدافها، **فمنها:** ما ينطلق من التجربة وما يختزله الفرد والجماعة من معارف وقناعات وثقافات، ومتغيرات ومسلمات وثوابت، وتقاليد وأعراف وعادات، **ومنها:** ما ينطلق من العلم، أي الحقائق التجريبية، والظواهر المبرهن عليها، وتكون هذه الحجج في الغالب دعامة تستند إليها عمليات: (الإقناع والاستمالة والتأثير والإفحام)، حيث يسعى الإنسان من خلالها إلى تمرير مواقفه وأفكاره؛ لتغيير اعتقادات المتلقين.

وتُطرح عدة إشكالات بهذا الصدد، تجمل كلها في الرغبة الشديدة والحاجة الملحة للمخاطب في الإقناع والتأثير، بكلِّ أنواع الحجج والوسائل، التي قد تكون مشروعةً أو غير مشروعةٍ، من دون الأخذ بالحُسبان حقُّ الآخرين في اختيار ما يلائمهم من أفكارٍ واعتقادات وقناعات، وهذه الأنواع من الحجج لا تظهر فوائدها وصحتها إلّا بالرجوع إلى السياق الاجتماعيّ، وطبيعة الموضوع الذي تدعمه أو تفنده، ومنها([٣٦]):

الأول/ الحجاج بالسلطة:

وهو أول أنواع الحجاج، ويقتضي أن تدرس المعرفة الموضوعية دراسة شمولية لكلِّ الأدلة التي يسمح بها المجال العلميّ، والتي ينبغي أن تكون قابلة للإدراك والفهم بوضوح، إنَّها سلطة علمية إدارية تتجاذبها الموضوعية العلمية والانطباعية الذاتية باستمرار.

تقترب آلية (الهيمنة الناعمة) من نظرة ميشيل فوكو المتميزة للخطاب، حين ربط الخطاب بالسلطة، فإذا كان هناك ارتباطٌ وثيقٌ بين الخطاب والسلطة، فإنَّ ذلك ليس مجرد تخطيط من السلطة حسب، بل هو تنظيم عبر بناء علاقة تجمع بين اللغة وأنماط الهيمنة الاجتماعية([٣٧])، ممّا يؤدي بالضرورة إلى انصياع المتلقي لسلطة الكلمة.

ومن هنا يمكننا أن نضع عدة شروط؛ كي تكون الحجة بالسلطة سليمة، وهي:

١- أنْ تكونَ السلطة حقيقية وواقعية تدرك بسهولة ويسر.

٢- أنْ يكونَ صاحب السلطة ذا كفاية وتمكن في مجال السلطة.

٣- ألا تستندَ تلك السلطة إلى الشهرة والمال وما شاكلهما.

٤- أنْ تستندَ السلطة إلى التخصص العلميّ والإنسانيّ.

٥- أنْ تتصفَ السلطة بالعموم والشمولية.

٦- أنْ يكونَ الرأي أو الحجة قائمًا على الدليل، بحيث يمكن تحسسه، أو تأكيده، أو البرهنة عليه.

٧- أن تكونَ هناك تقنية حجاجية، لها القدرة على البت في الخلافات القائمة بين سلطتين أو أكثر.

وتبعًا لعلة ذلك، كان الحرص على بلورة تلك الشروط في اختيار المسؤولين، سواءً في الحكومة، أو في الإدارات، أو في المؤسسات، أو في المرافق الاجتماعية المختلفة، باعتماد جانب الخبرة والتخصص، وسلوك منهجية، تقوم على تأكيد الرأي بالدليل الصائب، والتداول بالقضايا، على وفق تقنيات تتوخى الحصول على توافق إداريّ، يستحضر ملابسة الوضع العام، الذي يندرج فيه الرأي، أو المشروع، أو الإصلاح، أو القرار، أو أيِّ شيءٍ آخر، يتطلب التداول.

الثاني/ الحجاج بالتجهيل والمغالطة المعرفية:

وهو حجاجٌ يقوم بإفحام المخاطب، انطلاقًا من تعجيزه على أن يأتي بما ينفي ما سلف تأكيده بالحجة، ذلك أنَّ المتكلم يؤسس حجته على قاعدة مؤداها: إذا لم تأتِ بما ينفي حجتي؛ فهو الدليل

على أنَّها صحيحة، وهي قاعدة خاوية مردودة، تتنافى مع قواعد البحث العلميّ التي ترفض الخلط بين غياب الحجج وتوافر الأدلة النافية لها؛ لأنَّ غياب الدليل على نفي الحجة المطروحة لا يعني أنَّ الحجة صحيحة بنحوٍ مطلق، وهنا تكمن المغالطة، وربما يكمن الإشكال الإثباتيّ للبعد المعرفيّ الذي قد لا يجعل المخاطب ينفي حجة خصمه، مثل:

- لا يوجد دليل على فرضية ما.
- إذًا؛ هي صحيحة.

ويظهر الشكل المغالطيّ القائم على التجهيل، يقابله الشكل المعرفيّ المغالطيّ([٣٨]).

الثالث/ الحجاج بالقوة:

وهي حجة تتوجه إلى سلوك المخاطبين؛ قصد تكييفه على وفق ما يريده المتكلم من دون اعتبارٍ لما يريده المخاطب أو يفكر به، أو يعتقده، ومن دون أن يخاطب المنظومة الفكرية للمخاطب، بقصد تغييرها، وإحلال انتظام آخر مِحلها، بعد حصول اقتناع ذاتيّ، يكون ناتجًا عن الأثر المباشر لعملية الحجاج.

من المعروف أنَّ المقدمات (مكوِّنات الاستدلال الحجاجيّ) هي التي تؤدي بنا إلى النتائج، فنحكم عليها بالصحة أو الخطأ، ولكن هذه المقدمات لا تجدي نفعًا منطقيًا في الحجاج بالقوة؛ لأنَّ مقدماته ذات طبيعة انشائية (افعل) وهي صيغة أمرية، مشحونة بالترغيب والترهيب الذين لا ينفصلان، ويسلكان علاقة القوة نفسها التي تصادر حرية الآخر، ومثال ذلك أقوال الجبابرة والمتغطرسين الحجاجية، كقول فرعون: (أنا ربكم الأعلى) وقوله: (لا أريكم إلّا ما أرى).

والصواب أنَّ الحجاج بالقوة لا يمكن عدَّه من أنواع الحجاج؛ لأنَّه لا يمكن معالجته في إطار المنطق التقليديّ، وينبغي إخراجه من دائرة الحجاج المنطقيّ، ووضعه ضمن مقاربات إطار المنطق الأخلاقيّ العمليّ. والفرق بين النمطين يتضح من المنفعة التي تتحقق للمتكلم والمخاطب؛ إذ نجد أنَّ الحجاج ذو طبيعة تداولية، يسعى إلى تحقيق فعلٍ يجلب المنفعة للمتكلم والمخاطب، أما النمط الآخر – الحجاج عن طريق الترغيب والترهيب– فهو لا يقدم أية منفعة للمخاطب، بل يسعى إلى تحقيق رغبة شخصية، أو مصلحة فئوية خاصة، مثل: (البيعة ليزيد أو ضرب الرقاب)، وهو ما يطلق عليه الحجاج بالقوة، يستثنى من ذلك الخطاب القرآنيّ في مواطن الترهيب والترغيب، وما هو على تمثلاته المرجعية.

المبحث الثاني/ خصائص الخطاب الحجاجيّ وتقنياته التواصلية:

ليس من الضروري أن يكون كلُّ خطابٍ حجاجًا، فقد تكون نهاية خطابٍ ما ذاتية، لا ترمي إلى الإقناع؛ وإنْ كانت هناك تعابير حجاجية داخل بنية الخطاب، ففي الخطابات اليومية بين الأفراد عادةً ترمي إلى التعارف، أو نقل المعلومات، أو تبادلها، أو تقديم معطيات، لا يكون من

أهداف هذه الخطابات سوق حجة، أو الاستدلال على موقف، أو الدفاع عن أطروحة، أو حمل الآخر على خطةٍ، وهو ما يؤكده (بلانين – Plantin) بقوله:" من التسرع الاعتقاد أنَّ الخطاب يكون لغاية حجاجية فقط، فهنالك كثيرٌ من الأقوال نستعملها في شكل عمليات غير حجاجية"([٣٩]).

ومن هنا ينماز الخطاب الحجاجيّ من غيره بوصفه خطابًا مبنيًا وموجهًا وهادفًا، يلجأ فيه إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، ويكون موجهًا مسبقًا بظروف تداولية تدعو إلى إكراهات قولية، أو اجتماعية أو ثقافية... وغيرها، تتطلب الدفاع عن الرأي، أو الانتصار للفكرة، وتتطلب نقاشًا حجاجيًا يمس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية، بهدف تعديل فكرة، أو نقد أطروحة، أو تصحيح مسار، أو جلب اعتقاد، أو دفع انتقاد([٤٠])، وهذا يعني أنَّ خصوصية الخطاب الحجاجيّ تكمن في إخضاعه إلى عدة مراقبات، منها:

أ- المراقبة الاجتماعية، وتعني الأطر الاجتماعية بأشكالها الإيديولوجية والاعتقادية كافة.

ب- المراقبة السلوكية، وتعني سلوكيات المتخاطبين في أثناء التخاطب([٤١]).

وتبعًا لهاتين المراقبتين قسمنا هذا المبحث على محورين، هما:

المحور الأول/ خصائص الخطاب الحجاجيّ:

١- خاصية البناء والدينامية:

إنَّ تحقيق الخطاب الحجاجيّ يتطلب عملية يتم بناؤها تدريجيًا، ويتطلب تكييفًا مستديمًا لعناصرها؛ إذ لا يوجد خطابٌ حجاجيٌّ جاهزٌ، أو معطى منذ البداية، ويعني هذا ألا وجود لقواعد كلية مطلقة تسير عليه الخطابات الحجاجية([٤٢])، ومن ثم؛ فإنَّ غاية ما يتحصل من عمليات الحجاج هو أنَّ القواعد والأسس ترتبط بميدان اللغة في علاقتها بالفرد والمجتمع، عبر تقنيات تبلور الأفكار والعلاقات والتمثلاث، سواء تعلقت بمنطق الحياة وميادينها المختلفة: (منطق السياسة ومنطق الأخلاق) أم تعلقت بمنطق الفرد ومكنوناته: (منطق اللغة ومنطق العقل)؛ لذلك تأتي فعالية الخطاب الحجاجيّ من طريقة بنائه، وتفاعل عناصره، ودينامية مكوناته، فالاقتصاد في الحجج والأدلة يحدث أثرًا فاعلًا في عملية إقناع المتلقي؛ لأنَّ المبالغة في سرد الحجج والأدلة تُفقد الخطاب فعاليته، وقوة إقناعه، ذلك؛ لأنَّ الذهن البشريّ لا يقوى على معالجة سوى عدد محدود من عناصر القول([٤٣]).

وقد أثبتت دراسة (سيموني) أنَّ عقل السامع لا يستطيع الحصول إلّا بنسبة ١٠% ممّا يسمعه، لذلك ينبغي التركيز في الأساسي في الحجاج، بما يتلاءم وحاجات المتلقي،" فلا يتصور قيمة الحجة بمعزل عن الشخص الموجهة إليه، إذ لا وجود لحججٍ وأدلةِ معيارٍ تطابقُ مستمعًا

جاهزًا، وإنَّما هناك مخاطبون لهم حاجات وانتظارات خاصة "([٤٤])، تحدد خصائص الخطاب الحجاجيّ " حتى يأتي على الوجه الذي يمحو عنه ما يعيبه "([٤٥]).

٢- خاصية التفاعل:

يبنى الحجاج أساسًا على مبدأين، هما: مبدأ الإدعاء ومبدأ الاعتراض، يؤديان إلى الاختلاف في الرأي أو الدعوى، ويدفعان باتجاه ممارسة الدفاع عن الرأي والانتصار إليه، وهذا الأمر هو الذي يؤدي إلى تحقيق نوعٍ من التفاعل (التزاوج الظاهر والتزاوج المفترض)، لتكوين الذات الاعتبارية للمتكلم والمخاطب([٤٦])، التي تنتج ازدواجًا في كلِّ أركان العملية الحجاجية، على النحو الآتي:

أ- ازدواج في القصد بين المتكلم والمخاطب.

ب- ازدواج في التكلم، كما لو كان المتكلم يحمل لسان المخاطب، أو كان المخاطب هو الذي يتكلم.

ت- ازدواج في الاستماع، كما لو كان المخاطب يحمل المتكلم في سمعه.

ث- ازدواجٌ في السياق، إذ يحوي سياق الإنشاء نصيبًا من سياق التأويل، وبالعكس.

وتتطلب أهمية هذا التفاعل أو التزاوج ضرورة التزام طرفي الخطاب بطبيعة الأرضية المشتركة بينهما، التي تضم الإمكانات الخطابية الخاصة بمقامٍ ما، والتي تراعي اعتقادات المتكلم والمخاطب، وردود أفعالهما([٤٧]).

٣- خاصية الالتباس:

قيل:" إنَّ الحجاج هو عمق الالتباس "([٤٨])، وسوغوا قولهم بأنَّ اللغة في طبيعتها أصلٌ لكلِّ غموضٍ دلاليّ، ومجالٌ لكلِّ انزياحٍ ومجازٍ لسانيٍّ، فمن المؤكد أنَّ هذا الغموض والانزياح والمجاز سيكون أعمق وأعسر وأعقد في الخطاب الحجاجيّ؛ لأنَّ الالتباس يأتي من طريق المجاز، وهو" الاستدلال بعبارة الدعوى على إشاراتها "([٤٩])، ويكون جامعًا للعبارة والإشارة، وهما معنيان متقابلان، يثيران اللبس، ولاسيما في الصور البلاغية والعلاقات الرمزية التي يطرحها المتكلم، والتي تدخل فيهما كلُّ (الدلائل – SIGNES) اللسانية وغير اللسانية؛ بل إنَّ بعضًا ممّا يعين على التأويل وتوجيه حرفية اللغة إلى غير وجهتها، هو من غير جنسها بالأساس، كمظاهر الضجيج، وتعبيرات الوجه، وأوضاع الجسد، وحركات الأيدي، ومحتويات الوعاء الزمانيّ والمكانيّ، ممّا له الأثر الكبير في الإيحاء والفهم([٥٠])، تلك عوامل إذا أُسيء استغلالها وفهمها شوهت المقاصد، وعاقت الوصول إلى لبّ نتاج الدلالة الحق، التي هي وليدة علاقة العلامات بمستعمليها، بوصفهم أحياءً عاقلةً ذوي أبعاد متعددة([٥١])؛ لأنَّ الإنسان بطبعه كائن رامز يقع تحت تأثير الرموز التي تقيم علاقة مركبة

بين (الأشياء والأشياء)، وبين (الأشياء والأفكار)، أو بالعكس، حيث تنفذ هذه الرموز داخل الإنسان من دون مقاومة([٥٢]).

ويأتي اللبس حين تأتي الإشارة في ظاهرها غير عادية أو عارضة مع القول، بل تأتي محملة برمزية، تحتاج إلى التأمل والتأويل، فإنَّها بكلِّ تأكيد ستحرك آليات الفهم والتأويل لدى المخاطب؛ ليتبنى اعتقادًا ما. ويزداد اللبس في الخطاب الحجاجيّ حينما تكون الإشارة سلبية مع العبارة، أي أنْ تحمل الإشارة نقيض القول، بحيث لا تدلُّ الإشارة على معنى العبارة.

٤- خاصية التأويل:

وهو نشاطٌ حجاجيٌّ، يختصُّ بالمخاطب بالدرجة الأولى، ويكون سلبًا أو إيجابًا، ويقع على مستويين، هما:

المستوى الأول/ استقبال القول، بوصفه علامات لغوية، تتطلب تحويل الرسالة فيها من السنن إلى الخطاب.

المستوى الأخر/ عند تعالق عنصري: الفهم والتأويل، فهمٌ أولي لمعنى القول، ثم تأويلٌ لهذا الفهم.

ولما كانت طبيعة الحجاج لا تتم في وصف ظاهريٍّ للقول، احتيج إلى عوامل خارجية لتحديد البُعد التأويليّ، إذ " إنَّ المتكلم لا يقدم قوله كما لو كان وصفًا عاديًا لكنه بالأحرى يقدم تقييمًا (سلبيًا أو إيجابيًا) وهو مقتضى وصف القول بالفعل الحجاجيّ "([٥٣])، لذلك تطلب استعمل الخطاب ألا توجد درجة الصفر في القول، وألا تستقل الذات في الخطاب؛ لأنَّ الخطاب لا يكون إلّا في إطار سياقٍ ومقامٍ معينين([٥٤]).

وفي هذا الإطار تؤكد النظرية التأويلية (إيكو) اعتماد السياق في تأويل الخطاب؛ لأنَّ المعاني التي يُنتجها الخطاب هي معاني ضمنية، تنتج الإيحاءات التي يقدمها السياق اللغويّ، وتكشف عنها العملية التأويلية، وأضافت النظرية التداولية بُعدًا جديدًا إلى السياق اللغويّ، وهو السياق المقاميّ (غير اللغويّ)؛ لتعزيز التأويل بهذه التضمينات والإيحاءات، إذ " قد لا تكون العلاقة الحجاجية بالضرورة علاقة بين عناصر لسانية فقط، بل تكون هذه العلاقة من طبيعة ضمنية غير لسانية "([٥٥]).

٥- خاصية الاعتقاد:

وهي" تعريفات اجتماعية وثقافية لأشياء العالم، أو قلْ: هي التي يقيمها الإنسان في الأشياء اعتبارًا لما له من مصالح، إلى درجة أنَّها تشكل في وعيه نقطة لقاء يومي، وتقوم بتحديد مختلف العلاقات العملية للأشياء والظواهر التي تحيط بالإنسان "([٥٦])، فالاعتقادات عمومًا تمثل ملتقى الأخلاق المقبولة في مجتمع ما، خلال حقبة معينة، حيث تقوم بدور المسلمات، على الرغم من أنَّ تلك المسلمات لا تمثل عناصر مادية ملموسة، وتخلو من كلِّ استدلالٍ ذي بُعدٍ علميّ، ولا تقبل

النقاش والجدال في كثيرٍ من الأحيان، ولا تخضه للتحليل العلميّ، والتمحيص الدقيق، ولا تقوم على قواعد مضبوطة، بقدر ما تقوم على انساق فكرية([٥٧])، فالإنسان غالبًا ما يصدر أحكامًا نابعة من الذات، يبدد فيها ما هو عقلانيّ، إلى درجة تصبح معها بعض الأفعال حتى الإجرامية منها مشروعة وواجبة، وذلك تحت تأثير اعتقاديّ خطير، كما يحدث في بعض الجماعات المتشددة من تقتيل همجيّ، أو انتحار، أو تكفير، أو إقصاء مطلق للآخرين، كما هو الحال مع جماعات التمييز العنصريّ، والقاعدة، وداعش، ... وأمثالهم، كلُّ ذلك يتم تحت تأثير اعتقادات وثوقية، تتغلف بالدين تارة، وبالجنس الخالص تارة أخرى.

غير أنَّ هذه الاعتقادات لا تفرض نفسها فرضًا، بل يكون لها معنىً عند كلِّ فاعل([٥٨])، وهذا المعنى لا ينشأ من فراغ، بل هو نتاج عمليات تواصلية إقناعية، يؤدي فيها الحجاج دورًا بارزًا مركزيًا، من خلال صدمات نفسية، ومؤثرات لا شعورية، تمس الدواخل الإنسانية، إلى درجة يحوِّل فيها الخطاب ما هو خياليّ إلى شيءٍ واقعيّ، وما هو نسبيّ إلى ما هو مطلق، فلا غرابة أن ينطلق المعلم الأول (أرسطو) من المشهورات والظنيات والمغالطيات كمقدمات في فنون الجدل والخطابة والسفسطة للإقناع والماجة، ليتبيّن لنا أنَّ استهداف اعتقادات الإنسان يمثل أحد الجوانب الأساسية للتخاطب، ويشكل رهانًا صعبًا في كلِّ حجاج([٥٩]).

٦- **خاصية تصحيح المسار:**

وهو نشاطٌ أساسيّ في كلِّ أركان العملية التواصلية، فلا يختصر على الحجاج، يتمثل في ردٍّ فعلٍ معين لتأثير القول الحجاجيّ، قد يكون تغييرَ عملٍ، أو عدولًا عن رأي، أو تحويلًا لمسارٍ، وهذا النشاط هو العلامة البارزة لحصول التأثير والاقتناع([٦٠])، لكن هذا الاقتناع لا يكون لدى المستمع ما لم يتطابق مع فعل المتكلم، بوصف المطابقة دليلًا وحجة مادية تنسحب على المتكلم، وتزكي موقفه وتقويه، ويسمّي (عبد السلام عشير) هذه الخاصية: (خاصية الانتهاض إلى العمل)([٦١])، في حين يسميها (طه عبد الرحمان) بـ(مبدأ الانتهاض إلى العمل)، ويعرفها بقوله:" هي الدليل الذي يجب اعتماده للعمل به بعد أن يكون الاعتقاد قد حصل "([٦٢])، ليصبح القول الحجاجيّ مرهونًا بالاقتناع والعمل، كي يُصحح المسار، فإذا فقد العمل، أصبحت الحجة ضد المتكلم لا معه، وهي صفة ذميمة، باتت اليوم تنطبق على الكثيرين، ولاسيما السياسيين، وقد وسمها القرآن الكريم بالمنافقين، حين نهى المؤمنين في قوله تعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ إنكارًا على من يعد وعدًا، أو يقول قولًا، ولا يفي به، ثمَّ أكد اللّه تبارك وتعالى هذا الإنكار عليهم بقوله:﴿ **كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ** ﴾ الصف/ ٣.

وقد يبدو أنَّ مطابقة القول للفعل أمرٌ لا يمكن التحقق منه دائمًا، فقد تتحقق المطابقة في المتكلم بنحوٍ مؤقت(في ظرفٍ معين) ثم تزول منه، أو قد يستعملها المتكلم بنحوٍ تمويهيّ لأغراض آنية.

المحور الثاني/ الخطاب الحجاجيّ وتقنياته (تمثلات قرآنية):

وضع كلٌّ من (ماير) و(بيرلمان) مفهومًا جديدًا للحِجَاج، جمعا فيه ملكة اللغة، وهي ملكة يشترك فيها العام والخاص من الناس، وملكة الكلام المتمثلة في الخطاب، وهي فردية، وملكة الإقناع، وهي ملكة يتمتع بها النخبة الخاصة من الناس، فعبرا عن ذلك بأنَّ الحِجَاج غالبًا يُعدُّ جهدًا إقناعيًّا (إفحاميًّا)، ويُعدُّ البُعد الحِجَاجيّ بُعدًا جوهريًّا في اللغة، لكون كلُّ خطابٍ يسعى إلى إقناع من يتوجه إليه، ويدلُّ هذا على أنَّ نجاح الخطاب يكمن في مدى توافقه مع السامع، ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستعملة على إقناعه، فضلاً عن استثمار الناحية النفسية في المتقبل من أجل تحقيق التأثير المطلوب فيه. ويمثل هذا المفهوم بعثًا جديدًا للخطابة الأرسطية، فهو يزاوج بين مفهوم الخطابة عند أرسطو والطرح اللسانيّ التداوليّ للحِجَاج([٦٣]).

ومن هنا عرفوا البلاغة الجديدة (المعاصرة) المبنيّة على فني: (الإقناع والإمتاع) بأنّها" تقنيات خطابية قادرة على التأثير"([٦٤])، بوصفها " فنًا للإقناع بطريق الخطاب "([٦٥])، أو بوصفها " وسائل لفظية مؤثرة، حاملة على اعتقاد وجهة نظر، أو تعديلها، أو توجيه الآخرين إلى تأملها "([٦٦]) أو أنَّها" مسافةٌ تخاطبيّةٌ تزيد أو تنقص بحسب المقاصد "([٦٧])، أو أنَّها" صناعةٌ تفيد قوّة الإفهام على ما يريده الإنسان، أو يُراد منه، بتمكين من إيقاع التصديق به، وإذعان النفس له "([٦٨]).

ومن أبرز الفنون البلاغية فنُّ الخطابة، وتُعرف بأنَّها فنُّ الإقناعِ والاستمالةِ، أو هي ذلك التفاعل القائم بين المتكلم والمخاطب في استعمال اللغة، عبر وسائل خطابية، تسند الخطيب في تأدية خطبته بنجاح، والتأثير في المتلقين، وهذه الوسائل التي نحن بصددها، ما هي إلاّ تلك الأبعاد التي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغويّ المستنبطة من السِّياق الاجتماعيّ للخطبة، وهذه الوسائل لها سمة خاصة، إذ إنَّها تتنوع بتنوع المواقف والأحداث والظروف.

إنَّ توافر عنصري: (الإقناع والاستمالة) من الأهمية بمكان في جميع أمور الحياة المختلفة، سواءً المتعلقة بالفرد أم المجتمع، وإنَّهما يأخذ أهميتهما في المسائل الدينية، فاعتناق دين ما لا يكون سهلًا، وكذا الاعتقاد بمذهبٍ، أو فلسفةٍ ذات صبغة روحية، لا تقع لأحدٍ إلّا بعد حصول الإقناع والتأثير من طرف آخر، إذ إنَّ عمليات الإقناع والتأثير بين الناس تحتاج إلى مزيدٍ من البحث المستفيض، ويحتاج تقديمها إلى أسلوبٍ علميٍّ أكاديميٍّ؛ كي يستفيد منها أصحاب الفكر.

يرتبط محتوى الرسالة عادةً بالقدرة على الإقناع والاستمالة، فقد كان أفلاطون يعرف البلاغة بأنَّها: (كسب عقول الناس بالكلمات) وكان أرسطو يرى أنَّ البلاغة تعبر عن " القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كلِّ حالة بعينها ". ويتحدث العلماء عن ثلاثة أنواع أساسية من الاستمالة في الخطاب الإقناعي، هي([٦٩]):

١- الاستمالة العاطفية:

وتستهدف التأثير في وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه بما يحقق أهداف القائم بالاتصال. وتعتمد هذه الاستمالة على ما يأتي:

أ- **استعمال الشعارات والرموز:**

فالشعارات هي عبارات يطلقها القائم بالاتصال لتلخص هدفه في صيغة واحدة مؤثرة بنحوٍ يسهل حفظها وترديدها، أما الرموز فتشير إلى تنظيم التجارب الإنسانية في مجموعة من الرموز التي تلغي صناعيًا التباين بين الأفراد في عالم الواقع، ويصبح التفاهم ممكنًا على أساس هذه الرموز العامة التي حلت محل التجارب الفردية، وأصبح لها مدلولٌ عامٌ متفقٌ عليه بين أفراد الجماعة.

ويعتمد في استعمال تلك الشعارات والرموز على خاصية التبسيط لعملية التفكير، واختزال مراحله المختلفة، في ضوءِ إطلاقِ حكمٍ نهائيٍّ بنحوٍ مبسط، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قول الحق عزَّ وجل: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجّ** ﴾ البقرة:١٨٩.

ت- **استخدام الأساليب البلاغية:**

كالتشبيه، والاستعارة، والكناية، والحذف، والنداء، والاستغاثة، والاستفهام الذي يخرج عن كونه استفهامًا حقيقيًا إلى معانٍ أُخر مجازية، كالتوبيخ والتبكيت، ...وغيرها من الأساليب البلاغية التي من شأنها تجسيد وجهة نظر القائم بالاتصال، ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّى وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً** ﴾ مريم:٤، وقوله تعالى:﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ**﴾ البقرة:١٣٨. وغيرها من الآيات الكريمات.

ث- **دلالات الألفاظ:**

وهي من أساليب تحريف الكلم عن مواضعه اعتمادًا على الألفاظ المستخدمة، ويمكن تطبيق ذلك باستخدام كلمة أو صفة أو فعل، تكون محملة بمشاعر معينة، قد تكون سلبية، تضفي نوعًا من الرفض على الاسم، وقد تكون إيجابية.

ويُلحظ أنَّ بعض هذه الألفاظ في أصلها اللغويّ محايدة، إلّا أنَّ معيار الحكم هو ما جرى العرف عليه في استخدام اللفظ، وهو ما يطلق عليه علماء اللغة: (الحقيقة العرفية للفظ)، كذلك يمكن استبدال الكلمة بكلمة أخرى، لها دلالة معنوية، ويقصد بالدلالة المعنوية: انتقال الذهن من مفهوم اللفظ إلى ما يلازمه. ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ** ﴾ الأنعام:١٣٦، وقوله تعالى:﴿ **وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ** ﴾ القصص:٦٤.

د- صيغ أفعل التفضيل:

وتستعمل لترجيح فكرة معينة أو مفهوم ما، كما في قوله تعالى: قول الحق عز وجل:﴿ **يا صَاحِبَيِ السِّجْنِ ءأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** ﴾ يوسف:٣٩، وقوله تعالى:﴿ **أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ** ﴾ الدخان:٣٧، وقوله تعالى:﴿ **وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ الزخرف:٣٢.

٢- الاستمالة العقلانية:

وهي تعتمد على مخاطبة عقل المتلقي، وتقديم الحجج والشواهد المنطقية، وتفنيد الآراء المضادة، بعد مناقشتها، وإظهار جوانبها المختلفة، وتستعمل في ذلك:

أ- الاستشهاد بالمعلومات والأحداث الواقعية.

ب- تقديم الأرقام والإحصاءات.

ج- بناء النتائج على المقدمات.

د- تفنيد وجهة النظر الأخرى.

كما في قوله تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ البقرة: ٢٥٨؛ وقوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلّ شَيْء قَدِيرٌ** ﴾ البقرة:٢٥٩.

٣- الاستمالة القسرية:

وتشير هذه الاستمالة إلى النتائج غير المرغوبة التي تترتب على عدم اعتناق المتلقي لتوصيات القائم بالاتصال، وتؤدي إلى جعل المتلقي يستجيب للرسالة في حالتين:

الأولى: شدة الإثارة العاطفية (الترغيب)، التي تشكل حافزًا لدى المتلقي للاستجابة لمحتوى الرسالة.

الأخرى: توقعات الفرد بإمكان تجنب الأخطار(الترهيب)، ومن ثم تقليل التوتر العاطفيّ عند الاستجابة لمحتوى الرسالة.

نتائج البحث:

١- ينماز الخطاب الحجاجيّ من غيره بوصفه خطابًا مبنيًا وموجهًا وهادفًا، يلجأ فيه إلى الحجة والاستدلال والمنطق والعقل، تبعًا للأعراف والقوانين، ويكون موجهًا مسبقًا بظروف تداولية تدعو إلى إكراهات قولية، أو اجتماعية أو ثقافية... وغيرها، تتطلب الدفاع عن الرأي، أو الانتصار للفكرة، وتتطلب نقاشًا حجاجيًا يمس الحياة الاجتماعية أو المؤسساتية، فهو في واقعه خطاب ذو طابع اجتماعيّ تأثيريّ، تتنازعه الأفعال اللسانية والاجتماعية، وتسود فيه الحركية والنشاط ذهنيًّا وتواصليًا.

٢- إنَّ (نظرية الحجاج) في اللغة نظرية تداولية تواصلية، ذات بُعدٍ اجتماعيٍّ، لم تنشأ من العدم؛ بل انبثقت من داخل نظرية تداوليّة أخرى، لا تقلّ شأنًا عنها، هي:(نظرية أفعال الكلام).

٣- إنَّ الخطابَ فعلٌ كلاميٌّ يُنظمُ طرفي السلوك الإنسانيّ: (اللغة في علاقتها بالمجتمع)، لذا ينبغي للُّغة الخطاب أن تكون أداة تواصل، تكشف الأفكار، وتنقل المعارف بنحوٍ واضحٍ قابلٍ للإدراك والوعي، حيث أثبتت التَّجربة أنَّ اللُّغة ليست دائمًا شفّافة وواضحة، إنَّما قد تستخدم أداةَ إخفاءٍ وتضمينٍ، وعليه؛ فغياب التَّواصل سيؤدِّي إلى انعدام السِّلوك الإنسانيّ.

٤- لا يمكن فصل الخطاب الحجاجيّ عن سياقه الاجتماعيّ، وذلك بالنظر في الإشارات الدلالية الداعية إلى دراسة الخطاب على وفق سياق متعدد الأبعاد، بوصف الخطاب مجموعة مركبة من العلاقات السياقيّة.

٥- إنَّ توافر عنصري: (الإقناع والاستمالة) في الخطاب الحجاجيّ من الأهمية بمكان في جميع أمور الحياة المختلفة، سواءً المتعلقة بالفرد أم المجتمع، إذ يرتبط محتوى الرسالة عادةً بالقدرة على الإقناع والاستمالة، فقد كان أفلاطون يعرف البلاغة بأنَّها: (كسب عقول الناس بالكلمات) وكان أرسطو يرى أنَّ البلاغة تعبر عن القدرة على كشف جميع السبل الممكنة للإقناع في كلِّ حالة بعينها.

الهوامش والمصادر:

[١] – ينظر: الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي (١٠٩٤هج)، تحقيق عدنان درويش– محمد المصري، مؤسسة الرسالة– بيروت، ص/ ٤٠٦.

[٢] – ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقيّ المصريّ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط٤، ٢٠٠٤م. مادة (حجج)، ج٢/٧٧٨.

[3] – Petit Robert, Dictionnaire de la langue Français,1er redaction, Paris,1990, p: 99 .

[4]– Longman, Dictionary of contemporary English, longman 1989.

[٥] – ينظر: لغة المحاججة واللغة الواصفة، كريستيان بلانتان، ترجمة: نصيرة الغماري، المدرسة العليا للأساتذة، جزء منه منشور على شبكة الانترنيت، ص/٢٠.

[٦] – ينظر: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تون فان ديك، ترجمة سعيد حسن بحيري، ص/٢٣٤.

[٧] – ينظر: مداخلات لسانيّة: مناهج ونماذج، بنعيسى أزاييط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، سلسلة دراسات وأبحاث رقم:(٢٨)، لسنة/ ٢٠٠٨م، ص/٧٩–٨٠.

[٨] – المنحى الاجتماعيّ في أمالي المرتضى، دراسة في ضوء اللسانيات الاجتماعيَّة، أ. م. د. نعمة دهش فرحان الطائيّ، مجلة الأستاذ . العدد الخاص بالمؤتمر العلميّ الرابع في كلية التربية ابن رشد لسنة ٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ ، المجلد الأول، ص/١٩٣.

[٩] – ينظر: مقاربة لسانية في مقدمة ابن خلدون دراسة إجرائيّة في ضوء مشروع (لسانيات التراث)، د. نعمة دهش فرحان الطائيّ، مجلة الأستاذ/ العدد ٢١٣ لسنة / ٢٠١٥م – ١٤٣٦هـ ، ص/٦٦–٦٧.

[١٠] – ينظر: المتشابهات الفلسفية لفلسفة الفعل عند فتجنشتين، محمد مجدي الجزيري، دار آتون للتوزيع، (د ت)، ١٩٨٦م، ص/٦٣.

10- Voir:Ducrot O,note sur l'argumentation et l'acte d'argumenter, cahiers de linguistique Françaises,Genève,1982, P: 86

[١٢] – ينظر: مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، العدد ٢، يناير– مارس، ٢٠٠٠م.، ص/٧٤.

[١٣] – النَصُّ والأسْلُوبيَّة بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص/٥٣.

[١٤] – ينظر: آليات الحجاج في الخطاب القرآنيّ، الاستفهام أنموذجًا، أ. مفلح بن عبد الله، المركز الجامعيّ غليزان، شبكة الانترنيت، ص/٣.

[١٥] – ينظر: نظرية الحجاج، من ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

[١٦] ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م، ١٥٤.

[١٧] ينظر: مدخل إلى اللغة، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨، ٣٢٣–٣٢٤.

[١٨] ينظر: مدخل إلى تحليل الخطاب، كولتهارد (مالكولم)، ترجمة غيداء علي محمد؛ بحث دبلوم عالي في الترجمة، مطبوع على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ١٣.

[١٩] ينظر: المصدر نفسه، ١٣.

[٢٠] ينظر: المصدر نفسه، ١٥–١٦.

[٢١] – النظرية النقدية التواصلية، مصدق، حسن، ط١، المركز الثَّقافيّ العربيّ، الدَّار البيضاء– المغرب، ٢٠٠٥م، ص/٧٩.

[٢٢] – ثلاثية اللسانيات التواصلية، د. سمير شريف استيتيه، عالم الفكر– مجلَّة دوريَّة محكَّمة تصدر عن المجلس الوطنيّ للثَّقافة والفنون والآداب– الكويت، المجلَّد (٣٤)، ٣ يناير/ ٢٠٠٦م، ص/١٠.

[٢٣] – ينظر: النَصُّ والأسْلوُبيَّة بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م، ص/٥٢.

[٢٤] – ينظر: مفهوم الحجاج وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص/٦١.

[٢٥] – ينظر :بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، منشورات عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م، ص/٦٧.

[٢٦] – الشرط والإنشاء النحويّ للكون، محمد صلاح الدين الشريف، تونس – كلية الآداب بمنونة،٢٠٠٢م، ج١/٢١١.

[٢٧] – ينظر: التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربيّ)، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط:١، ٢٠٠٥م، ص/٤٠ وما بعدها.

[٢٨] – الحجاج في اللسانيات التداولية.. دراسة لنماذج من القرآن الكريم، د. بن أحمد عالم فايزة، جامعة مستغانم، الجزائر، بحث منشور في مجلة (الكلمة)، العدد/٧٥، مركز آفاق للدراسات، منشور على شبكة الانترنيت، موقع المجلة، ص/١٣.

[٢٩] – البيان والتبيين، أبو عثمان الجاحظ، تحقيق: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٣م، ج١/٥٦.

[٣٠] – عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دكتور عبد السلام عشير، إفريقيا الشرق، ٢٠٠٦م، ص/٦٩.

[٣١] – لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، ذهيبة حمو الحاج، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص/١.

[٣٢] – ينظر: الحجاج في اللسانيات التداولية– دراسة لنماذج من القرآن الكريم، ص/١٤.

[٣٣] – ينظر: المصدر نفسه.

[٣٤] – النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٥، ص/١٥٦.

[٣٥] – ينظر: المصدر نفسه، ص/١٣٠.

[٣٦] – ينظر: عندما نتواصل نغير، ص/١٦٤–١٦٧.

[٣٧] – المصدر نفسه.

[٣٨] – ينظر: عندما نتواصل نغير، ص/١٦٦.

[39]– Essais sur l argumentation p: 146.

[٤٠] – ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقليّ، د.طه عبد الرحمن ،المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت ، ط١ ،١٩٨٨م، ص/٢٢٦.

[٤١] – عندما نتواصل نغير، ص/١٢٨– ١٢٩.

[٤٢] – ينظر: أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المؤسسة الحديثة للنشر، ط١، ١٩٨٧م، ص/٦٦.

[٤٣] – حسب دراسة أشار إليها سيموني. (ينظر: L argumentation strategie et tactique P:55).

[٤٤] – عندما نتواصل نغير، ص/١٢٩–١٣٠.

[٤٥] – اللسان والميزان والتكوثر العقليّ، ص/٢٢٣.

[٤٦] – ينظر: المصدر السابق، ص/٢٦٥.

[٤٧] – ينظر: عندما نتواصل نغير، ص/١٣٠

[٤٨] – المصدر نفسه، ص/١٣١.

[٤٩] – اللسان والميزان والتكوثر العقليّ، ص/٢٢٣.

[٥٠] . ما هي السيميولوجيا، بارتار توسان، ترجمة: محمد نظيف، الدار البيضاء_ إفريقيا الشرق، ط٢، ٢٠٠٠م، ص/١٠.

[٥١] . ينظر : المنهج التداوليّ في مقاربة الخطاب، المفهوم والمبادئ والحدود، نواري سعودي أبو زيد، بحث منشور في مجلة فصول، العدد / ٧٧ – ٢٠١٠م، ص/١٢٢.

[٥٢] – يعود هذا الرأي للعالم (كاسرر). (ينظر: La philosophie des fyomes symbolique).

[٥٣] – ينسب هذا القول للعالم (موشلير). (ينظر: .Argumentation et conversation P:50)

[٥٤] – ينظر: عندما نتواصل نغير، ص/١٣٢.

[٥٥] – تنسب هذه المقولة إلى العالم (موشلير). (ينظر: .Theorie pragmatique P:50).

[٥٦] ينسب التعريف إلى العالم (بلانين – PLANTIN). (ينظر: .Essais sur l argumentation P:15).

[٥٧] – ينظر:عندما نتواصل نغير، ص/١٣٣.

[٥٨] – ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، أوستن، ص/ ١٣٠–١٣٥.

[٥٩] – ينظر: عندما نتواصل نغير، ص/١٣٣.

[٦٠] – ينظر: أفعال الكلام، ص/١٢٤.

[٦١] – ينظر: عندما نتواصل لنغير، ص/١٣٤.

[٦٢] – اللسان والميزان والتكوثر العقليّ، ص/٢٣٧.

[٦٣] – ينظر: الحجاج في اللسانيات التداولية.. دراسة لنماذج من القرآن الكريم، د.بن أحمد عالم فايزة، جامعة مستغانم، الجزائر، بحث منشور في مجلة (الكلمة)، العدد/٧٥، مركز آفاق للدراسات، منشور على شبكة الانترنيت، موقع المجلة.

[64]– chaim perelman . Leman rhetorique . vrin , 2002, p28.

[65]– Olivier Reboul . Introduction a la rhetorique. PUF, 1991, p.4.

[66]– Ruth Amossy . Largumentation dans la discours . Nathan , 2000, p. 29.

[67]– Michel Meyer . principia Rhetorica . fayard , 2008, p.21.

[٦٨] – التلقي والتأويل(مقاربة نسقية)، محمد مفتاح، ص/٣٤ .

[٦٩] – ينظر: مفهوم الحجاج في القرآن الكريم، مهابة محفوظ ميارة، ص/٥٣٢.